

8

قصص المبشرون بالجنة

أمين
الأمّة

سلوى العناني

دار اللطائف

للمشتر والشؤون

أمين الأمة

(أبو عبيدة بن الجراح)

صدق الله وعده وانتصر المسلمون في بدر .. وعاد من
بقي من فرسان قريش يحرون هزيمتهم ، ويبكون قتلاهم
ويرسلون في فداء أسراهم .. إلا أن روح الثأر في قلوبهم
كانت تشتعل في كل يوم لتأجيج هذه الرغبة في قتل
المسلمين ..

أعدت قريش العلة .. ثلاثة آلاف مقاتل .. وزودتهم
بالسيوف والنبال .. يمتطون ظهور مائتي فرس ، وثلاثة
آلاف بعير حاملين معهم من الزاد ما يكفيهم ..

وسط هذه الحملة الضخمة حملت الهوارج⁽¹⁾ عددا من
النساء ، جئن يلهبن حماس المقاتلين ويشعلن فيهم نار
الثأر ، وفوق أحد هذه الهوارج كان صنم كبير من أصنامهم

(1) هوارج : جمع هودج وهي عيمة صغيرة تثبت على ظهر الإبل وتخصص عادة لجلوس النساء .

قد زين بالقلائد والحلى ..

ووصل الخبرُ إلى النبيِّ وصحبه في المدينة ، وعلموا أن
قريشًا تعسكر بالقرب من جبل (أحد) على مسافة خمسة
أميالٍ من المدينة ..

اجتمع المسلمون يتدارسون الموقفَ .. وانتهى رأيهم إلى
وجوب الخروج لملاقاة كفارِ قريشٍ عند (أحد) ..

كان اليوم الجمعة الرابع عشر من شوالٍ .. صلى النبي
بالمسلمين ، ثم خرج إلى (أحد) مع سبعمائة مقاتلٍ .. وبدأ
ينظم قواته ..

ومع صباح السبت الخامس عشر من شوالٍ سار بهم
فوضع خمسين من الرملة على ممرات الجبل ، وقال لهم :

"احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن يحيثونا من ورائنا والزموا
مكانكم لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل
عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نُقتلُ فلا

تعينونا ، ولا تدافعوا عنا ، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم
بالنبل ، فإن الخيل لا تقدم على النبل " .

والتقى الجيشان : جيشُ المسلمين بعدده القليل وعدّته
المتواضعة وإيمانه القوى .. وجيشُ قريش بفرسانه وخيوله
وأسلحته ..

وكان النصر للسلاح الذي لا يقهر .. للإيمان بالله
وبرسوله وبالدين الذي نزل من السماء ليخلص أهل
الأرض من الظلم والعبودية ..

وتراجع أبطالُ قريش الذين كانوا مضربَ الأمثال بين
العرب في القوة والشجاعة أمام قوة المسلمين .. ولاذوا
بالفرار .

وتتبع المسلمون فلولَ الكفار الهاربة مخلّفة وراءها غنائم
لا حصر لها .. فلما رأوا هذا الخير انصرفوا عن إتمام
ملاحقة العدو للفوز بالغنائم .. بل إن الرمة الذين أمرهم

رسولُ الله من قبل ألا يبرحوا مكانهم مهما كان الأمرُ .. ما
كادوا يرون زملاءهم يتكاثرون على الغنائم حتى جرى عددٌ
كبيرٌ منهم للحاق بأنصبتهم ..

فلما رأى المشركون التفافَ المسلمين حولَ الغنائم عادوا
إليهم .. ودارت الدائرة .. وألقى المسلمون بما فى أيديهم
وعادوا إلى القتالِ ..

لكن هيهات أن يستطيعوا لَم الشَّمْل وتنظيمَ الصفوفِ ..
عم الهرجُ ، واتجه العدوُّ ناحية الرسولِ يبغي الخلاصَ منه
للقضاء على دعوة الإسلام من جذورها .. وأشاع البعض
مقتلَ النبى .. إلا أن هناك مجموعةً من المؤمنين أقوياء الإيمان
كانت التفت حولَ الرسولِ تدافع عن دينها وعن نبيها ،
وكان كلُّ رجلٍ منهم يحملُ فى قلبه وساعديه عشراتِ
المقاتلين ..

فَمِنْ هؤلاء (علىُّ بنُ أبى طالب) و (أبو بكر الصديق)
و (عمر بنُ الخطاب) و (سعد بنُ أبى وقاص) و (أُمّ عمادٍ

الأنصارية) و (أبو دجانة) و (كعب بن مالك) و (أبو
عبيلة ابن الجراح) ..

التف هؤلاء الصحابة وغيرهم حول رسول الله يصدون
عنه هجوم كفار قريش المسموم .. بينما هم ينسحبون بعيداً
عن بؤرة القتال ..

التف (على) كرم الله وجهه فرأى الدّم يسيل من وجه
النبي وهو يمسحه بيده الكريمة ويقول: "كيف يفلح قوم
خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلى ربهم؟" .. فأسرع
إليه بالماء يغسل به الوجه الطاهر ...

إنهما حلقتان من (المغفر)⁽¹⁾ الذي كان النبي يغطّي به
رأسه وقد انغرستا في وجهه الشريف فأسالتا دمه الزكى ،
ويسرع رجل من أهل الجنة إلى النبي فيقبض على الحلقة
الأولى بأسنانه فينتزعها ليسقط على الأرض ، وتسقط معا

(1) المغفر : لباس لرأس المحارب يصنع من حلقات حديدية متشابهة .

(ثنيته)⁽²⁾ .. ثم ينتزع الحلقة الثانية فتسقط معها ثنيته
الثانية ..

فمن هو هذا الرجل .. التقى المؤمن الذي ملأ الإيمان
قلبه ، فدفعه حبه للنبي لأن يقوم بما قام به دون تفكير أو
تردد .

ولندع للصديق (أبي بكر) يصف لنا هذه الواقعة :
"لما كان يوم أحد ، ورُمى رسول الله عليه السلام حتى
دخلت في وجنته حلقتان من المغفر ، أقبلت أسعى إلى
رسول الله عليه السلام ، وإنسان قد أقبل من قبل المشرق
يطير طيرانا ، قلت اللهم اجعله طاعة ، حتى إذا توافينا إلى
رسول الله إذا هو أبو عبيدة بن الجراح قد سبقني ، فقال :
أسألك بالله يا أبا بكر أن تتركني فأنزعها من وجه رسول
الله عليه السلام ، فتركته ... فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى
حلقتي المغفر ، فنزعها وسقط على الأرض وسقطت ثنيته

(2) الشيخين : السنن الأماميان .

معه ... ثم أخذ الحلقة الأخرى بشيئته الأخرى فسقطت ...
فكان أبو عبيدة في الناس (أشرم) ⁽¹⁾ ..

إنه أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح .. أحد الستة
السابقين الأوائل الذين دخلوا الإسلام على يدى أبى بكر
الصديق ..

آمن أبو عبيدة بمحمد نبيا ورسولا وبأن الله واحد قادر لا
شريك له .. ومنذ اليوم الأول أظهر ولاء لا يواتيه ولاء
بهذا الدين ولرسوله .

عندما اشتد وقع الاضطهاد على المسلمين من كفار مكة
نصح الرسول عليه السلام عدداً من أتباعه بالهجرة
والتفرق في الأرض فراراً بدينهم ... واختار لهم الحبشة
مهجراً .. لماذا؟

"فإنها بها ملك لا يُظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ،
حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" ..

(1) الأشرم : هو الشخص الذى كسرت أسنانه الأمامية وأثرت على لظفه لبعض الحروف .

هكذا رأى رسول الله ..

فهاجر فريقٌ مكونٌ من أحدَ عشرَ رجلاً وأربعِ نساءٍ ،
خرجوا سرا حتى لا يشعرَ بهم أحدٌ ، واتجهوا إلى حيثُ
نصحهم رسولُ الله .. إلى الحبشة .

وهناك قضوا عدةَ سنواتٍ ، ثم عادوا ظناً منهم أن أحوالَ
المسلمين قد تحسنت في مكة .. إلا أنهم رأوا في عودتهم
استمراراً للظلم والاضطهاد والتعذيب ، فخرجت قافلةٌ
ثانيةٌ مهاجرةً إلى الحبشة ضمت حوالى ثمانين رجلاً غير
نسائهم ..

كان أبو عبيدة بنُ الجراح واحداً من هؤلاء المهاجرين
الأوائلِ إلى الحبشة ، وظل هناك مع مجموعةِ المسلمين إلى أن
هاجرَ النبيُّ وأصحابُه إلى (يثرب) فعادوا إلى جوار رسولِ
الله ..

شعر الرسول بمدى إخلاص أبى عبيدة لدينه ، وعقيدته ،

ونبيه ، فأعجب بخصاله وسلوكه حتى إنه قال :

"أمين هذه الأمة ، أبو عبيلة بن الجراح" .

حارب أبو عبيلة إلى جوار رسول الله في (بدر) (وأحدي)
وغيرهما من المشاهد والغزوات .. وبرزت ثقة النبي في
شخص أبي عبيلة يوم أتى وفد (نجران) من اليمن إلى
النبي يعلن الإسلام وينطق بالشهادة .. ثم سأله أن يبعث
معهم من المسلمين الأوائل من يعلمهم أمور دينهم من
القرآن والسنة ..

فقال رسول الله عليه السلام :

"لأبعثن معكم رجلاً أميناً .. حق أمين .. حق أمين .. حق
أمين" .

ساعتها تمنى كل واحد من الصحابة أن يكون صاحب
هذه الشهادة .. فمن لا يتمنى أن يشهد له النبي بأنه (حق
أمين) ويكررها ثلاثاً .

وبعد أن صلى النبي بالمسلمين أشار إلى أبي عبيدة بن
الجراح وقال :

" اخرج معهم ، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه " .
وذهب أبو عبيدة إلى اليمن .. يعلمُ المسلمون أمورَ
دينهم .. ويحكم فيما اختلفوا فيه ويدعو إلى سبيل الله
بالحكمة والموعظة الحسنة .. فدخل الإسلام على يديه عددٌ
كبيرٌ من الناس ..

سافر أبو عبيدة إلى الشام ضمنَ حملةٍ حربيةٍ كان يقودها
(خالد بن الوليد) .. فأبلى بلاءً حسناً ، رغم أنه كان أكبر
سناً من خالد وأسبق منه إلى الإسلام ، إلا أن القيادة
والإمارة لم تكن من ضمن أحلامه .. كان حلمه الوحيد هو
إعلاء كلمة الله ونشر دين الإسلام .

وبينما كان (خالد بن الوليد) يقودُ رجاله في موقعة
مهمة وحاسمة في بلاد الشام .. أرسل الخليفةُ عمر بنُ

الخطاب برسالةٍ إلى أبى عبيدة يعهد إليه فيها بقيادة جيشِ
المسلمين ..

ورأى الصحابى التقى الورعُ (أبو عبيدة) أن هذا الوقتُ
غيرُ مناسبٍ لإبلاغِ خالدٍ بمضمونِ رسالةِ أمير المؤمنين ..
فكتمها وأمر حامل الرسالة بكتمانها حتى انتهت المعركةُ
بنصر المسلمين ، فاتجه إلى خالد. وقَدَّم له رسالةَ أمير
المؤمنين .. وتعجب خالدُ وسأله :

"يرحمك الله يا أبا عبيدة .. ما منعك أن تخبرنى حين جاءك
الكتابُ" .

فأجابه : (أمين الأمة) - كما أسماه رسول الله عليه السلام :
"كرهت أن أكسر عليك حربَكَ .. وما نريدُ سلطانَ
الدنيا .. ولا للدنيا نعمل .. كلنا فى الله إخوةٌ" ..

ويتسلَّم ابنُ الجراحِ الرايةَ من ابنِ الوليدِ ويقودُ جيوشَ
المسلمين فى عديدٍ من المعاركِ ، وأصبح يحارب تحت قيادته

عديدٌ من القادة الكبار فأطلقوا عليه اسم (أمير الأمراء) ..
ولما شاعت عنه هذه التسمية تأملت نفسه فقد كان يعيش
بين جنوده ، وأتباعه ، كواحدٍ منهم لا يتميز بلباسٍ ، أو
القب ، أو طعامٍ .. ثم أراد أن يوقف هذا (الامتياز) أو
(اللقب) الذي منحه إليه الناسُ فوقف فيهم خطيباً ...

"أيها الناسُ .. إني مسلمٌ من قريشٍ .. وما منكم من
أحد ، أحمر ، ولا أسود ، يفضلني بتقوى الله إلا وددت أنى
فى إهابه" ...

هنيئاً لأهل الشام بحاكمٍ زاهدٍ ، عادلٍ ، قانتٍ ، عابدٍ مثل
أبى عبيدة بن الجراح ... كانت البلادُ تعيشُ ثراءً ما بعده
ثراءً .. وبدأ الناسُ يعتادون البذخ والنعيم والترَفَ .. لكنه
كان كما أحب أن يكون ..

زراه الخليفةُ (عمر بن الخطاب) فى منزله يوماً وهو أميرُ
على الشام فتعجب أميرُ المؤمنين مما رأى ..

فليس فى الدار من الأثاث شىء .. ليس هناك إلا علةُ
الجهاد .. السيفُ والترسُ⁽¹⁾ والراحلةُ .. ويتمتم الخليفة فى
نفسه ..

"ألا اتخذت يا أبا عبيدة لنفسك مثلما يصنعُ الناسُ" ..
لكنك أبو عبيدة بنُ الجراح .

لما بلغ أمير المؤمنين (عمر بن الخطّاب) نبأ وفاة (أبى
عبيدة ابنِ الجراح) ، جرت دموعه غزيرةً لفقد زميلِ الكفاح
وشريكِ النضالِ فى سبيلِ الدعوة وقال :

"لو كنت متمنيا .. ما تمّنت إلا بيتاً مملوءاً برجال من
أمثالِ أبى عبيدة" .

(1) الترس : هو كل ما يتقى به المحارب مثل الدروع وغيرها .

